

1. احمد بن طولون .
2. خماروية بن احمد بن طولون.
3. جيش بن خسارويه بن احمد بن طولون.
4. هارون بن خكارويه

2- الدولة الطولونية في مصر والشام : (254-292هـ = 868-905م)

ان الاتراك سيطروا على الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم وان نفوذهم لم يقتصر على العاصمة فحسب بل تعداها إلى الولايات الاسلامية الاخرى بما في ذلك مصر . ولقد جرت العادة أن تمنح ولاية مصر اقطاعا لهؤلاء الولاة الاتراك الذين كانوا يرسلون، من ينوب عنهم في حكم مصر .

ومن هؤلاء النواب الأتراك الذين حكموا مصر ، نذكر أحمد بن طولون وهكذا اتحت الفرصة لأحمد بن طولون كي يقيم في مصر دولة مستقلة ولم يكن يربطه بالخلافه سوى بعض المظاهر الشكلية التي أشرنا إليها آنفا وهي :
الدعاء للخليفة في الخطبة يوم الجمعة . و نقش اسم الخليفة على السكة (النقود) .
وارسال جزء من الخراج (الدخل) لدار الخلافة .

ولم يقتصر سلطان ابن طولون على مصر وحدها بل امتد نفوذه إلى بلاد الشام شمالا وإلى ليبيا غربا ، ان احمد بن طولون لم يكف عن ارسال الاموال والهدايا الى كبار رجال الجيش والدولة في بغداد ، وهذا من غير شك قوى من مركزة هناك .

اهم اعمال احمد بن طولون:

1 : بناء جيش للدولة :

اعد احمد بن طولون جيشا قويا اعتمد عليه في تنفيذ مشاريعه السياسية والحربية . وقد بلغ من ضخامة هذا الجيش ان احمد بن طولون بني لهؤلاء الجنود ثكنات جديدة وهي مدينة القطائع شمالي الفسطاط .

2- : مدينة القطائع :

أسس ابن طولون هذه المدينة في سنة 256هـ (870م)، وبني فيها قصرا ضخما جعل أمامه ميدانا فسيحا ليستعرض فيه جيوشه، ثم اختط حول القصر تكتات جنوده وحاشيته ، وجعل لكل فئة من جنوده قطعة خاصة بها : فالجنود السودان لهم قطعة، وللجنود الترك قطعة ، وللروم قطعة ، وهكذا . ولذا سميت بالقطائع , ولقد شيد بن طولون في الجهة الشرقية من القطائع قناطر للمياه ولا تزال بعض عقودها قائمة.

3- جامع ابن طولون

بني احمد بن طولون بجوار القصر مسجده المعروف باسمه حتى اليوم . وقد انتهى من بنائه في سنة 265هـ(879م) كما هو واضح من لوحة حجرية لا زالت مثبتة على احدى دعائم المسجد ومنقوشة بالخط الكوفي . ولم يبق من مدينة القطائع سوى جامع ابن طولون الذي بني وقف اصول الفن العراقي.

ومن الأساليب الفنية العباسية . ويلاحظ ذلك في سلم المئذنة الخارجي الذي يلتف حولها بشكل دائري ، وهو يشبه في ذلك مئذنة المسجد الجامع بمدينة سامرا المشهورة باسم المنارة الملوية .

ولقد جعل ابن طولون في هذا الجامع خزانة بها بعض الادوية والاشربة التي قد يحتاج اليها المصلون . كما عين لهذا الجامع طبيبا خاصا لاسعاف المصلين في الحالات الطارئة فهو بمثابة طبيب اسعاف .

4- المارستان او البيمارستان :

وهي كلمة فارسية بمعنى المستشفى . وقد بناه ابن طولون لمعالجة المرضى على اختلاف حالاتهم ، والحق به صيدلية لصرف الادوية . فاذا دخل المريض هذا المستشفى ، وكان ابن طولون يطوف بأنحاء المستشفى اسبوعيا ويتفقد الادوية واعمال الاطباء ويشرف على المرضى .

5- الاعمال الدفاعية والأسطول :

حصن ثغور مملكته في الشام ومصر مثل عكا ويافا ودمياط والاسكندرية . وكذلك بنى حصنا قويا في جزيرة الروضة وزوده بجميع الاسلحة والذخائر للاحتماء به وقت الخطر .

6- حاول احمد بن طولون نقل الخلافة الى مصر على أثر الخلاف الذي وقع بين الخليفة المعتمد وبين أخيه وولي عهد الموقف الا أنه لم ينجح في ذلك الامر .

7- تقرب احمد بن طولون من الامويين في الاندلس فوطد علاقته بهم .

وان عددا من علماء الاندلس رحلوا إلى مصر فرحب بهم ابن طولون وعين بعضهم في مراكز الدولة الهامة , والغرباء من أهل المغرب والاندلس في مصر كاوا يسكنون في جامع ابن طولون ويدرسون فيه وجرى عليهم الأرزاق في كل شهر ، وجعل أحكامهم اليهم .

خلف احمد بن طولون في ولاية مصر والشام ابنه خمارويه (270-282هـ) وامتد حكمه اثني عشرة سنة . لم يكن خمارويه رجل حرب بل كان شابا مترفا يميل إلى حياة السلم والرخاء ، ولهذا كادت الشام تضيع من ملكه في أوائل عهده .

الا أن الظروف ساعدت خمارويه بتوطيد سلطاته ، فأهتم بمدينة القطائع وصرف عليها أموالا كثيرة ، وحول الميدان الذي امام القصر الى بستان جميل ، وجعل جزءاً منه حديقة للحيوانات والطيور المختلفة توفي خماروية قتيلا سنة 282هـ ، وهو في طريقه الى الشام .

- نهاية الامارة الطولونية

كان مصرع خمارويه في الواقع بداية تفكك الامارة الطولونية واضمحلالها ، فقد أصبحت مصر مسرحاً لاحداث داخلية دامية عصفت بوحدة الاسرة الطولونية وعجلت بزوال نفوذها ، فقد توالى على الحكم اولاد خمارويه الذين لم يكن يتجاوز الواحد منهم الرابعة عشرة من عمره .

وخلف خمارويه ولده ابو العساكر جيش كان صبيا وتكرر لكبار رجال دولته ، فثار عليه الجند وطالبوه بالتنازل عن الحكم ، فتارت ثأرتة وأقدم على قتل أثنين من أعمامه كانا محبوسين عنده ،ورمى برأسيهما الى الجند ، فثار الجند وهجموا على ابي العساكر جيش وقتلوه ونهبوا داره واحرقوها وولوا اخاه هارون خمارويه في الحكم .

وكان هارون هذا صبيا ايضا لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، فنصب قادة الجيش من بينهم وصيا عليه هو ابو جعفر محمد بن ابي وكان من كبار رجال ابن طولون . وهكذا تركزت السلطة الفعلية بأيدي قادة الجيش الذين اصبح كل واحد منهم يسيطر على فريق من الجيش ويخضع له خضوعاً تاماً .

وفي سنة 288 هـ توفي الخليفة المعتضد بالله وبويع بالخلافة بعده ولده ابو محمد ولقبه بالمكتفي بالله ، الذي تدهورت العلاقات مع الطولونيين في عهده فأرسل جيشا الى مصر ، فتقدم الى حمص ، فخرج اليه والي الشام من قبل هارون واعلن طاعته وخضوعه . ثم واصل الجيش العباسي زحفه الى فلسطين فاطاعه اميرها ايضا ، فلما وصلت هذه الاخبار الى هارون استعد لمواجهة الموقف ، وانقذ اسطوله لئيتصدى للاسطول العباسي ، الا أنه أنهزم واستولى العباسيون على تنيس ودمياط ،وتقدمت سفنهم في النيل متجهة الى الفسطاط فوقع الخلاف بين الجند وأضطرب الموقف في مصر ، وانتهز اعداء هارون تدهور الموقف ،وادرك هو ضعف مركزه وعجزه عن الوقوف في وجه العباسيين الذين اشرفوا على دخول الفسطاط ، فلم يجد بدأ من التسليم وأرسل الى قائد الجيش العباسي محد بن سليمان الكاتب يطلب الامان لنفسه واخوته واهله ،ودخل محمد بن سليمان الفسطاط في ربيع الاول سنة 292 هـ وأمر بأحراق القطائع فأحرقت ، ودعى على المنابر للخليفة المكتفي بالله وحده ، وسقطت بذلك الامارة الطولونية بعد حكم استمر ثمانية وثلاثون سنة.